

خطاب صاحب الجلالة بمناسبة الذكرى الثالثة والعشرين لانطلاق مسيرة الحضراء

وجه صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، يوم 16 رجب 1419هـ الموافق 6
نونبر 1998م، خطابا إلى الشعب المغربي، بمناسبة الذكرى الثالثة والعشرين
لانطلاق 'لمسيرة الحضراء'.
وفيد يلي النص الكامل للنخضب الملكي:

الحمد لله، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه.

شعبي العزيز،

منذ 23 سنة ونحن نحتفل كل يوم 6 نونبر بذكرى المسيرة الحضراء.
وفي الحقيقة لم تكن هناك مسيرة واحدة بل عاش المغرب مسيرتين منذ ذلك
اليوم إلى يومنا هذا... مسيرة على النطاق الدولي ومسيرة على النطاق
'الداخلي'. مسيرة على النطاق الدولي كما تعلم أدت أول ما أدت إليه إلى
اتفاقية مدريد التي سجلت بهيئة الأمم المتحدة في نيويورك.

وبعد ذلك أنصت المغرب واستمع إلى طلبات أشقائه وإخوانه الذين
طلبوا منه أن ينظم استفتاء تأكيديا حتى يقفل أي باب للتزاع. وأنداك ذهبنا
مرتين إلى نيروبي في إطار منظمة الوحدة الإفريقية وقبلنا أن تشارك فيه
هيئة الأمم المتحدة وأن ينشأ باتفاق معها مسلسل ومخطط للاستفتاء..

وما أن فرغنا من تلك المناكرات في نيروبي وما بعد حتى طعنا من
الخلف من بعض الإخوان الأقارقة الذين لم يجدوا بدا من الاستماع بل
الامتثال إلى الأوامر التي أنتهم من المعسكر الشيوعي آنذاك - وكانت

الحرب الباردة ضاربة أطنا بها - فاعترفوا بمن اعترفوا به واضطرو المغرب لأن يقادر منظمة الوحدة الإفريقية ولكنه بقي متشبها بإرادته في وضع مخطط للاستفتاء، مخطط أمني تكون هيئة الأمم المتحدة طرفا مهما فيه. نعم، كان بإمكان المغرب أن يقول: أنا - سأُنظم استفتاء كما وقع في عدة بلدان وسأدعو صلاحيين أجانب من الدول معروفة بالنزاهة وبالحياة وسأُنظم ذلك الاستفتاء وسيشهد الشاهدون على استقامته ونزاهته. ولكن حتى لا تضع أي فج للتقاش أو للجدل العقيم لم نركب هذه الطريقة بل أخذنا على أنفسنا أن نسير قدما نحو هذا الاستفتاء.

وفي كل خطوة خطوة من مسيرتنا هذه سوف يرى المؤرخون أن المغرب كان دائما متشبها بالقانون الدولي وبالشرعية. فلم نعط الأمر بتنظيم المسيرة يوم 16 أكتوبر 1975 إلا بعدما قالت محكمة العدل الدولية قولها في ملف الصحراء لا وأنه توجد أواصر تاريخية تجمع دائما في البعثة بين المغرب وصحرائه وسكانها. والنفرة الثانية كانت مع منظمة الوحدة الإفريقية في مؤتمر نيروبي الأول والثاني.

والعمل الثالث كان في إنشاء مخطط السلام مع هيئة الأمم المتحدة جنبا إلى جنب وخطوة خطوة. ومنذ ذلك الحين والأمور تتأرجع وتكون أقرب ما تكون من الاستفتاء فيؤخر ثم يؤجل ثم يرجأ. ولنا لنظن أن هذه كانت متاورات من خصومتنا حتى نفقد حكمتنا ورسالتنا وأعصابنا فصبرنا وسوف تبقى صابرين. لأن من كان صاحب حق يعيش في اطمئنان وفي جو من الإيمان الذي يغمره كل يوم وكل سنة.

وها نحن سنلتقي في الأيام القليلة المقبلة بـعالي السيد الأمين العام لهيئة الأمم المتحدة كوفي عنان، وسنناقش بالصراحة المعهودة فينا في هذا الملف وسنطرقه معه بكل وضوح وكل نزاهة واستقامة. ولي البقية أن هذا

الرجل الذي اختاره المجتمع الدولي لتسيير شؤون هيئة الأمم المتحدة يتوفر على الحكمة والتبصر والأناة التي يجب أن يتحلى بها رجل في منصبه. وقد أظهر كوفي عنان، هذا الرجل الإفريقي في عدة أزمات- وكان بعضها ساخنا جدا- أنه يتسلح بالصبر والإنصاف الذي يجب أن يتحلى به كل من هو في منصبه.

أما مسيرتنا الأخرى - شعبي العزيز- فهي مسيرة انطلقت منذ 1975 ولم تكن سهلة ولكن كان القلب يتقبلها بسعة، ذلك لأنها كانت مسيرة الرخاء لأبنائنا في الصحراء.

فمنذ 1975 ونحن نبني وتشيد ونعبد الطرق ونبني الموانئ والمطارات والمستشفيات والمستوصفات ودور الأطفال والمدارس والداخليات ونبني إن شاء الله - جامعة هناك ونرفع كل يوم يوم من مستوى أبنائنا في الصحراء رجالا كانوا أو نساء. فهم - ولله الحمد - أناس عقلاء يعرفون كيف يدبرون أمورهم. وربما يضيع وقته كل من ظن أنهم سيستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير.

فأبنائنا في الصحراء يعرفون أنهم يعيشون في مجتمع هادي، منظم، مطمئن آمن ويعلمون أنهم يعيشون في مجتمع مؤطر بقوانين وحقوق وفي بلديات وفي جماعات قروية وفي أقاليم وجهات ويتمتعون بالعدالة ويحقوقهم الخاصة والعامة والسياسية وبالتعددية وبالآمن في أنفسهم وفي أموالهم وفي أعراضهم.

يتمتعون بكل هذا، رغم أننا نريد أن نبقى في المغرب بأسره لكل قبيلة على ما تتحلى به شخصيتها من خصال وعبقرية. رغم هذا كله فهم يعلمون أنهم يعيشون في نظام ملكية دستورية تجعل أن كل واحد من الصحراويين لا يفضل غيره من الآخرين وأنه لا قبيلة عندنا ولا عنصرية قبلية عندنا بل

حينما يذهب الإنسان إلى الدكان أو المتجر أو المصنع أو المعمل أو المدرسة أو مكتبه، فهو يذهب بشخصيته وحقوقه وحرية معتمداً قبل كل شيء، على بطاقته الوطنية التي تجعله كالأخرين لا فرق بينه وبين غيره.

هذه الحقوق والضمانات التي يتمتع بها أبناؤنا في الصحراء هل هم مستعدون لبضربوا بها عرض الحائط؟ لا أظن ذلك، بل أعتقد أن من يظن هذا فهو يستصغرهم. وقد قلت هل يظن الطائرون أنهم سيستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير؟ لا أظن ذلك. قستقبلهم هو حاضرهم الآن ومستقبلهم هو ما بينهم كما عاشوا وكما عاشه أجدادهم. ولي اليقين أننا سنزيد معهم عدداً على عمل في الأشهر المقبلة بالنسبة لجهااتهم وبالنسبة للتخطيط المقل. فالتخطيط المقل يجب أن يعطي أهمية كبرى لأقاليمنا الصحراوية لأنها انطلقت من لا شيء، ورغم أنها انطلقت من لا شيء، فإنها -ولله الحمد- بفضل التجهيزات الأساسية المنجزة فيها تساوي بل تفوق عدة جهات من جهات المغرب الشمالي.

هذه - شعبي العزيز - بعض ملامح الحالة الموجودة الآن في المناخ الدولي وعلى أرض الوطن في أقاليمنا الصحراوية، فعلى الصعيد الدولي نحن متشبثون بالمشروعية ولا نريد أن نخرج عن المشروعية. نحن متشبثون بأن يعطى لكل صحراوي صحراوي حقه في أن يسجل نفسه وأن يكون مختاراً للتصويت لأن هناك فرقاً بين التسجيل وبين التأهيل. فعلى أن نسير جميعاً على أن يسجل ويؤهل أكثر ما يمكن من أبنائنا الصحراويين الذين يستجيبون للمناخ والمعايير المنصوص عليها في المخطط الأممي. وعلى الصعيد الداخلي فالمغرب يسير مع أبناؤه في الصحراء بشق طريقه لا بعباً بما يقال هنا وهناك عانا وموقنا بأن الصحراويين لا يريدون أن يرجعوا إلى القرون الوسطى، بل يريدون أن يسيروا مع إخوانهم الشماليين في طريق النمو وفي

طريق الاطشنان والطمانينة وفي طريق التعامل مع العالم بأسره في إطار
العزلة. وأين لهم هذه العزلة إذا هم ركبوا ضيقاً أخرى. كيف سيسكنهم أن
يشقوا طريق الأسواق والاتفاقيات من جديد مع شركاء آخرين إِم في شمال
العالم أو في شرقه أو غربه أو جنوبه.

لا يمكنهم هذا إلا في إطار مغرب موحد تسوده الطمانينة والعدالة
الاجتماعية ومساواة الجميع أمام الحق والقانون.

فلنكن - شعبي العزيز - كلنا من طليعة إلى الكؤيرة مطمئنين متحليين
بالسكينة والهدوء. ذلك الهدوء الذي يضع الله به قلب كل من هو متشبث
بحقه وقائم بواجبه وحريص على نقاء وطهارة ضميره.

والله سبحانه وتعالى أسأل. أن يعطينا مزيداً من الصمود والتحمل
والأناة والتبصر والسكينة، تلك السكينة التي بدونها لا يمكن القيام بأي
شيء. تلك السكينة التي قال فيها الله سبحانه وتعالى: «هو الذي أنزل
السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ولله جنود السموات
والأرض وكان الله عليهما حكيماً». صدق الله العظيم.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.